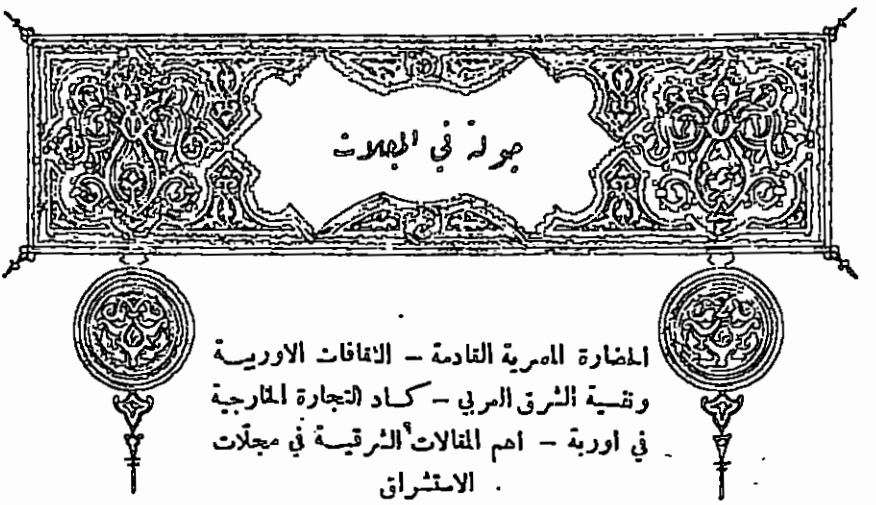

الحضارة المصرية القادمة – الثقافات الاوربية وتقسية الشرق العربي – كساد التجارة الخارجية في اوربة – اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

الحضارة المصرية القادمة

تقوم في مصر، من مدة ليست بالقصيرة، مناظرات تشتد وترتخي حول الحضارات المختلفة من فرعونية، او مصرية قديمة، وعربية، واوربية، وما يجب على مصر اتخاذه منها دستوراً في ادبها وفنها وسائر مظاهرها الاجتماعية. وان من يطالع الجرائد والمجلات الادبية ويرى فيها الابحاث المتعددة في الموضوع من مثل «الادب الفرعوني» او «الادب القومي»؛ و«العروبة» ومختلف مواضيعها؛ و«التجديد» و«الثقافة المصرية» وما الى ذلك، يتحقق ان المناحة قوية، وان الاحزاب منظمة، وان كثيراً من الحبر والورق يُنفق جزافاً، لان سنن الاجتماع، وضروريات الحياة تعمل في ملاشاة حضارة او إقرار اخرى ما لا تعمله المجادلات الصحفية والمناظرات الادبية.

هذا وقد رأت مجلة الهلال (ابريل ١٩٣١، ص٨١٧–٨٢٢) ان تستفتي بعض كبار الادباء المصريين في هذا الموضوع فتمام آراءهم في حل «تكون الحضارة المصرية القادمة فرعونية ام عربية ام غربية؟» فجمعت اجوبة عديدة رأينا ان ننشر منها شيئاً من جواب الدكتور طه حسين لانه اقرب من غيره الى الالمام بالموضوع من اكثر اطرافه، وأميل الى اظهار محاسن ومساوئ كل من الحضارات المذكورة. قال:

فاذا لم يكن بد من ان يكون لي في هذه المسألة رأي فهذا الرأي لا يصور الا ما أرى انه مثل اعلى اتمنى لو نوفق الى تحقيقه. فمن الحضارة المصرية القديمة اشياء قد ماتت ولا سبيل الى احيائها الا من طريق الدرس والبحث العلمي التاريخي كالدين واللغة والنظم السياسة والاجتماعية فما اظن احد من اشد الناس إلحاحاً في حب هذه الحضارة ونصرها يتمنى لمصر ان تصطنع ديانة الفراعنة ولغتهم ونظمهم القديمة في السياسة والاجتماع. ولكن من هذه الحضارة

ما بقي ولا بد من بقائه والخير كل الخير في ان نعنى به ونجد في ان يكون له في حياتنا اقوى اثر ممكن وهو الفن ، فلست اظن ان احداً من الذين يلحون في انكار تلك الحضارة القديمة يكره ان يعنى المصريون المحدثون بفن المصريين القدماء فيسيغوه ويجددوه ويستخلصوا منه ومن شعورهم الحديث ما يصور حياتهم الجديدة دون ان يقطع الصلة بينهم وبين ماضيهم الفني الذي لا شك في انه مجيد .

ومثل هذا يمكن ان يقال في الاساطير واحاديث الناس التي لا تخلو من فكاهة وعظة وعبرة والتي لا افهم لم لا يستغلها الشعراء والكتاب على نحو ما يستغل الشعراء والكتاب في اوربة احاديث اليونان والرومان واساطيرهم . فانت ترى ان احياء الحضارة المصرية برمتها لا سبيل اليه ولا خير فيه ولكن الانصراف عن هذه الحضارة برمتها اثم في حق الفن وفي حق مصر الحديثة نفسها .

وكثير جداً من عناصر الحضارة العربية لا خير في بقائه ولا سبيل اليه كالنظم السياسية وكثير من النظم الاجتماعية ، ولكن عنصرين اساسيين من عناصر هذه الحضارة لا سبيل مطلقاً الى التخلص منهما ، ومن المحقق ان محاولة هذا التخلص إثم وعبث في وقت واحد . فالدين العربي واللغة العربية مقومان اساسيان للحياة المصرية الحديثة سواء اراد الناس ام لم يريدوا ، واذن فحظ الحضارة العربية من حياتنا المصرية كحظ الحضارة المصرية القديمة ندع بعضها ونستبقي بعضها ونحن لا نختار ذلك بل نكره عليه .

فاما الحضارة الاوربية فلست ارى رأي الذين ينكرونها او يتهمونها بالشر والفساد والاغراق في حب المادة ، فليس شيء من هذا صحيحاً ، وانما الحضارة الاوربية كغيرها من الحضارات لها نواحيها المختلفة وفيها الخير والشر وفيها ما ينفع وما يضر . ومهما نفعل ومهما نحاول فسنأخذ من هذه الحضارة كل ما نحتاج اليه سواء في ذلك ما يمس حياتنا العقلية وما يمس حياتنا المادية . ولك ان تطلب الى من شئت من اوساط الناس ان يعدلوا عما فرضته عليهم الحضارة الاوربية من نظم التجارة والصناعة والاقتصاد والتصرف في حياتهم اليومية الى ما كان يحبه القدماء المصريون او العرب من ذلك فلن تجد منهم الا اعراضاً

وانصرافاً ولعلك تجد منهم مع ذلك ضحكاً لا يخلو من سخرية واستهزاء. وقل مثل ذلك في الحياة العقلية فانت مكره الآن على ان تفكر كما يفكر الاوربيون لا كما كان يفكر المصريون القدماء ولا كما كان يفكر العرب. ولو انك ابيت الا ان تفكر كما كان يفعل اولئك وهؤلاء لانقطعت الصلة بينك وبين اوربة ولضاقت بك الحياة على اختلاف فروعها. واعيد الآن ما قلته غير مرة من ان من اشد النكبات على الناس ان تحاول تطبيبهم بطب ابن سينا او الرازي معرضاً عن باستير او غيره من علماء اوربة. ومثل هذا يمكن ان يقال في الفلسفة وفي العلم وفي الادب. فالمثل الاعلى فيما اعتقد هو ان نحتفظ من الحضارة المصرية القديمة بما يلائمنا وهو الفن، ومن الحضارة العربية بالدين واللغة، وان نأخذ من الحضارة الاوربية بكل ما نحتاج اليه، وليس في هذا شر ما دمنا نحتفظ بشخصيتنا المصرية فلا تفسد علينا هذه الحضارة الاوربية حياتنا على اننا امة لها مقوماتها الخاصة.

الثقافات الاوربية ونفسية الشرق العربي

ويقرب من الموضوع ما نشرته مجلة «الحديث» الحلبية (نيسان ١٩٣١، ص ٢٦٢) (١ من جواب الاستاذ محمود عزمي عن عدة اسئلة ثقافية ومنها: «اي ثقافة اقرب الى نفسية الشرق العربي؟ الثقافة الافرنسيين، ام ثقافة الجرمان، ام ثقافة الانكلوسكسون؟» فاجاب:

ادين بأن بلادنا، بلاد الشرق العربي، من فئة البلاد المطلة على البحر الابيض المتوسط والتي كان لها نصيب وافر في تهيئة حضارة هذا البحر التي كانت حضارة العالم كله. تفاعلت الحضارة المصرية والحضارة الفينيقية والحضارة الاسلامية العربية والحضارة اليونانية والحضارة الرومانية واخرج هذا التفاعل حضارة الغرب التي تسود العالم اليوم ولهذه الحضارة، في عصرنا، ثقافات تنعت احداها «بالثقافة اللاتينية» وثانيتها «بالثقافة الجرمانية» وثالثتها «بالثقافة

١) نشير، بهذه الفرصة، الى ان المجلة المذكورة نقلت في عددها المذكور، القسم الاول من مقال حضرة الاب توتل اليسوعي في «حي بن يقظان وفلسفة ابن طفيل» الذي نشرناه في عدد كانون الثاني، فاشارت الى الكاتب دون ذكر «المشرق»...

الانكلوسكسونية» ولما كانت الثقافة اللاتينيـة هي التي تولدت من ذلك التفاعل بين الحضارات القديمة التي كان لبلادنا فيها نصيب كبير، فاني اعتقـد ان اقرب الثقافات الينا هي الثقافة اللاتينية.

الثقافة الانكلوسكسونية تتميز بروحها «المادية» المتطرفة، والثقافـة الجرمانية تتميز بثقل روح غورها في البحث، وكلا الامرين بعيدان عن الخُلق الشرقي العربي، فنحن لا نزال نحنّ الى «المعنويـة» ولا نزال نحب تدقيق البحث «سطحاً» لا «عمقاً».

كساد التجارة الخارجية في اوربة

اطلعنا في «صحيفة التجارة والصناعة» المصريـة (فبراير ١٩٣١ ص٢٠٩) على بحث في كساد التجارة الخارجية في اوربة ومظاهره المختلفة، رأينا من المفيد نقل شيء منه:

كان لضغط حركة الاتجار في الاسواق الخارجية العالمية، الناتج عن التدهور الذي عمّ جميع الاعمال المالية، اثر بيّن في تجارة اوروبة الخارجية فقد قلت قيمة واردات الدول الاوروبية في جملتها خلال التسعة الاشهر الاولى من عام ١٩٣٠ بمقدار ١٢ او ١٣ في المائة عن قيمة الواردات في التسعة الاشهر المماثلة لها من عام ١٩٢٩، اما الصادرات فقد هبطت بمقدار ١١ او ١٢٪ ومن هـذا يتضح ان الصادرات كانت احسن حالاً من الواردات والسبب في هذا راجع اولاً الى ان اسعار الواردات كانت اكثر انحطاطاً من اسعار الصادرات وثانياً لان الكساد في الاسواق الداخلية جعل الامم تعتمد جل الاعتماد على تجارة الصادرات فنتج عن هذا الكساد ضعف في تجارة الواردات.

ثم نشرت المجلة مقابلة بين تجارة اوربة الخارجية في السنوات ١٩٢٨ و١٩٢٩ و١٩٣٠، وانتهت الى الملحوظات التالية:

تدهور التجارة عام ١٩٣٠ عن مركزها عام ١٩٢٩

اذا قارنا تجارة اوروبة الخارجية في عام ١٩٣٠ وتجارتها في عام ١٩٢٩ وجدنا ان كساد التجارة عام ١٩٣٠ شديد ظاهر الاثر وانها عام ١٩٢٩ كانت على وجه العموم اكثر نشاطاً وحركة، واذا ما قارناها بالتجارة الخارجية في عام ١٩٢٨ كان

العجز في هذه السنة اقل من العجز في عام ١٩٢٩ . ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة بوجه خاص في تجارة الولايات المتحدة اذ بلغت تجارتها الخارجية عام ١٩٢٩ درجة لم تصل اليها تجارة اوروبة (ففي تسعة اشهر من عام ١٩٢٩ زادت صادرات الولايات المتحدة بمقدار ٨٪ كما زادت وارداتها بمقدار ٩,٤٪ عن صادراتها ووارداتها في نفس المدة من عام ١٩٢٨ في حين ان نسبة ما اصابته اوربة من زيادة في صادراتها ووارداتها كانت ٣٪ و ١,٥٪ على التوالي) .

التدهور في كمية التجارة اقل منه في قيمتها

كان الانحطاط الذي منيت به الاسعار بوجه عام وعلى الاخص اسعار المواد الخامة عاملاً عظيماً جداً من العوامل التي ادت الى قلة الارباح وهبوط المكاسب وقد دل الاحصاء على ان اسعار الجملة خلال المدة من يناير الى سبتمبر سنة ١٩٣٠ قلت بنسبة ١٠٪ عن اسعارها خلال المدة المماثلة من العام السابق وهاك نسبة انخفاض الاسعار في المائة في بعض دول اوروبة :

فرنسة	نسبة انخفاض الاسعار فيها ٨ ٪
سويسرة	٩ ٪
الممالك المتحدة البريطانية	١١٪
ايطالية	١٣٪
الولايات المتحدة	٩ ٪

من هذا يتضح ان التجارة الخارجية قد هبطت في كميتها اكثر من هبوطها في قيمتها .

وقد جاء في احد التقارير الالمانية ان اسعار صادراتها في التسعة الاشهر الاولى من سنة ١٩٣٠ كانت اقل من اسعارها في المدة المماثلة من السنة السابقة بمقدار ٢/١ ٥٪ وان اسعار الواردات انخفضت بمقدار ١٢٪ — كذلك بلغ نقص اسعار الصادرات في انكلترة ٢/١ ١٥٪ واما اسعار الواردات فهبطت ٢/١ ٢٪ فقط ، وفي الولايات المتحدة بلغ هبوط اسعار الصادرات ٧٪ واسعار الواردات ١٧٪ .

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

مجلة باريس — La Revue de Paris, 1° *Avril 1931*

Lucien de Vissec, *La Turquie et les minorités*, p 661-685.

تركية والاقليات

هي مقالة تظهر في مجملها ميلاً الى تركية ، ولكنها شديدة اللهجة صارمة الحكم في ما خصّ ما قامت به الحكومة التركية وما ستقوم به من الجور في معاملة الاقليات. فان الاتراك ، بينما يجتهدون في التشبه باوربة المدنية ، تراهم يبذلون قواهم في التخلص من الاوربيين . ويذكر الكاتب انه لم يبقَ من الاطباء الفرنسويين في استانبول الا اثنان ملحقان بالمستشفى الفرنسوي بناء على مقرّرات معاهدة لوزان . . هذا ولو كان للاجانب الحقّ بمساواة الاتراك، في ما لو اعتنقوا الجنسية التركية ، لكان للمشكل حلّ مقبول. ولكن هذا الحلّ لا يفيد شيئاً لما تأصل في قلوب الوطنيين من بغض الاجانب لاسيما الارمن واليونان واليهود. وان للحكومة واسطة عجيبة في معرفة المنتمين الى الاقليات، فانها تستند في ذلك الى الولادة ، وتفهم بالولادة ديانة الشخص الاصلية ، وهي طريقة من الغرابة بمكان في حكومة تدعي انها علمانية.

اما اذا بحثنا في جل عرف الاتراك ان يسدّوا الثلم التي احدثوها بتطبيق هذه السياسة في حق الاقليات ، فاننا نتحقق الجواب السلبي في آراء جميع الاوساط المتصلة بتركية ، وفي جميع المظاهر التي يراها من يجول في تلك البلاد. كما انه يرى ، وسط تلك الانقلابات العديدة ، مؤسسة واحدة لا تزال على ازدهارها السابق الا وهي عادة « البخشيش » . ومهما يكن من امر ، فان عمل الغازي العظيم واصلاحاته الجبّارية التي لا ينكر احد اهميتها ، لا تزال مدعاة لكثير من الاصلاح ايضاً ، بل يمكن القول انها لا تزال عرضة للانقلاب. وعلى الجملة فان تركية لا يمكنها ان تتصرف دائماً دون ضرر عن معاونة الاقليات.